



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرضائي

تفريع دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بدائي

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (4)

التاريخ : الخميس 6 - 4 - 1440 هـ

تفريغ الدرر الرابع من دروس شرح الأصول الثلاثة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

أما بعد؛

في هذه الليلة بإذن الله تعالى ننهي من المقدمة التي قدّم بها الشيخ -رحمه الله - تعالى بين يدي رسالة الأصول الثلاثة .

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى - :

[اَعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لَطَاعَتِهِ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ]

قوله- رحمه الله - : (اَعْلَمْ) : سبق معنا وقُلْنَا بِأَنَّهَا لِفَتْ الانتباه ، وإلى التنبيه إلى أهمية ما سيقال لك .

وقوله: (اَرْشَدَكَ اللَّهُ لَطَاعَتِهِ) : أي هداكَ الله إلى امثال أمره وترك نهيه؛ فإن الرُّشْدَ : هو الإستقامة على طريق الحق ؛ والرُّشْد ضد الغيِّ ؛ قال تعالى : { قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } الغيِّ

والشيخ -رحمه الله -دعا لك من قبل بالرحمة والآن يدعو لك بأن يُرشدك الله إلى طاعته، وإذا أُرشدك الله لطاقته فقد فُزت وأفلحت ؛ وفي هذا تلطُّف من الشيخ رحمه الله تعالى مع الطالب .

والمؤلف - رحمه الله - يدعوكَ أن تعلمَ أَنَّ الحنيفيَّة هي مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ،

فما هي هذه الحنيفيَّة ؟

الحنيفيَّة : نسبةٌ إلى الحنيف وهي من الحَنَف ، أي المائل .

تقولُ العرب : رجلٌ أَحَنَفُ أي مائلُ القدم ، ورجلٌ حَنِيفٌ أي متنسِّكٌ متعبِدٌ ؛

فالحنيفة : هي الملة المائلة عن الشرك إلى التوحيد ، وهي الطريق المستقيم الذي يُحِبُّهُ اللهُ ويرضاه ، وهي دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

قال الله تعالى { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (١٦١) الأنعام

ومِلَّةُ إبراهيم عليه السلام دينه وشريعته التي سار عليها ، ووصف الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام أنه كان حنيفا فقال تعالى : {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (٦٧) آل عمران

وقال الله تعالى : { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (١٢٠) النحل

فإبراهيم عليه السلام كان مائلاً عن الشرك إلى التوحيد ، وعن المعصية إلى الطاعة ، وعن البدعة إلى السنة .

وقد أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباع مِلَّةِ إبراهيم في عدة مواضع في كتابه منها قول الله تعالى : {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (١٢٣) النحل

وقال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قوله صلى الله عليه وسلم : " بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ "

وإبراهيم عليه السلام هو خليلُ الرحمان قال الله تعالى : {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } (١٢٥) النساء

وإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء ؛ فإن الأنبياء بعده كلهم من ذُرِّيَّته عليه السلام ؛ وقد تكرر هذا في مواضع كثيرة للاقتداء به ؛ فما هي طريقة إبراهيم كي نسلُكها ونتَّبِعها ؟

قال الشيخ رحمه الله :

(انْ تَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ)

أي : أن هذه الحنيفية هن أن تعبد الله مخلصاً له الدين ؛

فَسَرَّ الشيخ رحمه الله الحنيفية التي هي ملة إبراهيم عليه السلام وأمر نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعها بأن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين ، وأخذ الشيخ رحمه الله تعالى هذا التعريف من قول الله تعالى في سورة البينة : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ } وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ { (٥) البينة

فملة إبراهيم عليه السلام تجمع بين العبادة والإخلاص ؛ فمن عبد الله صلى وصام لكن أشرك مع الله غيره فهذا ليس على ملة إبراهيم بل هو مشرك بالله العظيم، فملة إبراهيم عليه السلام مائلة عن الشرك الى التوحيد .

والعبادة في اللغة : هي الخضوع والتذلل .

يُقال : طريق معبد أي مدلل بكثرة الوطء . والمشي عليه .

وأما في الشرع : فنُعرِّفها بالمعنى العام والواسع : غاية الحب مع غاية الذلّ، وهذا تعريف ابن القيم -رحمه الله -

قال ابن القيم في نونيته :

وعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ ** مع ذلّ عابده هما قطبان**

وأما العبادة بمفهومها الخاص، أي تفصيل القول فيها فهي: اسم جامع لكلّ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهذا تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

ويكفي طالب العلم المبتدئ هذا التعريف، ولا نتوسّع عليه في تعريفها كي لا يتشتّت ويصعب عليه فهم ذلك ويبقى تفصيل القول فيها وذكر أقسامها لاحقاً إن شاء الله .

والإخلاص هو التَنَقِّيَّة ، تقول : ذهبٌ خالصٌ ، أي: ذهبٌ صافٍ من كلّ ما يشوبه .

وفي *الشرع* : أن يُنقى الإنسان إرادته وقصده بالعمل من إرادة وقصد غير الله تعالى .

فالإخلاص أن يعبد الإنسان الله عز وجل وحده لا شريك له ، فلا يقصّد بعبادته غير الله وثوابه، فلا يعبد معه غيره ، لا ملكاً ولا نبياً ، لا ولياً ولا جنياً، لا شجراً ولا حجراً.

قال الله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (٥) البينة

قال الشيخ -رحمه الله- :

(وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (٥٦) الذاريات ، ومعنى يعبدون : يُوحّدون)

قوله - رحمه الله - :

(وبذلك) أي : بالحنيفية التي هي عبادة الله مُخلصاً له الدين أمر الله جميع الناس من لدن آدم عليه السلام الى قيام الساعة وخلقهم لأجلها .

قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (٢٥) الانبياء

وقال تعالى : { وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } (٧٢) المائدة

وقال تعالى في سورة البقرة : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (٢٢) البقرة

هذه الآية فيها أول [نداء] ، وأول [أمر] ، وأول [نهي] في القرآن كله وهي في بداية سورة البقرة ؛

أول نداء في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ } ، وأول أمر في قوله تعالى : { اعْبُدُوا رَبَّكُم } ، وأول نهي في قوله تعالى : { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا } ؛

فبماذا كان أول أمر ؟ كان في التوحيد ، وبماذا كان النهي الأول ؟ كان عن الشرك .

والمؤلف رحمه الله استدل على قوله بقول الله تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (٥٦) الذاريات

ففي هذه الآية ذكر الله عز وجل الغاية والحكمة من خلق الجن والإنس ؛ فإن الله عز وجل لم يخلق الجن والإنس لعمارة الأرض ، ولم يخلقهم للهو واللعب ؛ فإنه سبحانه وتعالى خلقهم لأمر عظيم وهو عبادته وحده سبحانه وتعالى والإخلاص له في ذلك ؛ فإن العباداة بدون توحيد لله تعالى لا تُسمى عبادة ، كما أن الصلاة بغير طهارة لا تُسمى صلاة وتكون باطلة ، وكذلك العبادة من غير توحيد باطلة .

لذلك فسّر ابن عباس رضي الله عنهما يعبدون بـيُوحّدون، أي: يُوحّدوني في العبادة ويُخلصولي في هذه العبادة ولا يُشركوا معي غيري .

ويُستفاد من الآية كذلك : وجوب الإيمان بوجود الجن وأنهم عالم غيبي مكلفون مثل الإنسان للمطيع منهم الثواب وللعاصي منهم العقاب ، ومن أنكر وجود الجن فقد كذب القرآن .

ثم قال -رحمه الله - :

(وَأَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدَ وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ)

التوحيد في اللغة : مصدر من وَحَدَ يُوَحِّدُ توحيداً إذا جعل الشيء واحداً .

وفي الشرع : إفراد الله سبحانه وتعالى فيما يختصُّ به من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات .

أنواع التوحيد ثلاثة : توحيد ربوبية، وتوحيد ألوهية ، وتوحيد أسماء وصفات

- توحيد الربوبية : هو أن تفرد الله بالخلق والرزق والتدبير ؛ أي تُوحِّد الله في أفعاله هو سبحانه وتعالى .
- توحيد الألوهية : وهو توحيد العبادة ؛ فتفرد الله عز وجل في عبادتك له ، ولا تُشرك به غيره ؛ أي : تُوحِّد الله في أفعالك أنت لله عز وجل .
- توحيد الأسماء والصفات : إفراد الله عز وجل بما سَمِيَ به نفسه، وذكر في كتابه، وفي سُنَّة نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإثبات ما أثبت ونفى ما نفى من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

والمؤلف - رحمه الله - فسّر التوحيد بقوله إفراد الله بالعبادة، فتعبّد الله وحده ولا تشرك به غيره ، ففسّره -رحمه الله- بتوحيد الألوهية ولم يذكر توحيد الربوبية ؛ وذلك لأنّ توحيد الألوهية هو أعظم أنواع التوحيد، وكذلك لأنّ توحيد الألوهية مُتضمّن لتوحيد الربوبية .

والمؤلف - رحمه الله - في هذه الرسالة ركّز على توحيد الألوهية - توحيد العبادة - وهذا النوع الاهتمام به أكد ؛ لأنّ أكثر الناس مُنكِّرون له، وهو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وأممهم، وهذا الذي ضلّ فيه المُشركون الأوائل ، وقد قاتلهم النبي صلى الله عليه

وسلم مع إقرارهم بتوحيد الربوبية ، وأنّ الله هو الذي خَلَقَهُمْ وأنّه هو الذي رَزَقَهُمْ ؛ وهذا النوع من التوحيد - توحيد الربوبية - تُقَرُّهُ العقول والفِطَر ، ولو أَقَرَّ رجلٌ بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لكنّه أشركَ مع الله غيره ؛ فعَبَدَ غير الله فهذا كافر مُشرك! ولا ينفعُهُ إقرارُهُ بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، فيجبُ الإقرار بأنواع التوحيد الثلاثة .

ولِعِظْمْ أمرِ التَّوْحِيدِ تَرَكَّزَتْ دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مكّة على التَّوْحِيدِ إلى أفراد الله بالعبادة ، ولم يُشْرَعْ من أركان الإسلام إلّا الصلاة بعد السّنة العاشرة من البعثة، فقد مكثَ صلّى الله عليه وسلم في مكّة عشر سنين يدعو الناس إلى التوحيد لعِظَمِ أمره ، ولم تُشْرَعْ الصلاة إلّا في العام العاشر ليلة المعراج ، وهذا يُبيّن لك أهمية التوحيد ، وأنّه أعظم ما أمر به .

قال الله تعالى في الآية التي ذكرناها أخيرا في سورة البقرة {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (٢٢) البقرة

ففي هذه الآية الأمر بعبادته سبحانه وتعالى ، وتوحيده وعدم الاشراف به ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " يا قوم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا " ، وكان يأمر من كان يُرسِلُهُ إلى الدعوة أن يبدأ بالتوحيد .

ثم قال المؤلف - رحمه الله - :

(وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه) .

الشرك في اللغة : هو الحظُّ والنصيب .

أَمَّا فِي الشَّرْعِ فَقَدْ عَرَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: " أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلْقُكَ "

والشرك شركان : أصغرُ وأكبر.

فالأصغر : هو تحت المشيئة وصاحبه يدخل الجنة .

أما الأكبر : هذا لا يغفره الله لمن مات عليه، وصاحبه مُخلدٌ في النار .

والمؤلف - رحمه الله - عرّف الشرك بقوله : (وهو دعوة غيره معه) أي: دعاء غير الله مع الله، فإنّ الدعاء كما مرّ معنا هو العبادة ؛ وهو ينقسم الى قسمين : دعاء مسألة ودعاء عبادة ، فالدعاء يشمل العبادة كلّها؛ ودعوة غيره معه أي عبادة غيره معه .

هذا الشرك هو أعظم العظائم ، وأكبر الكبائر، وكلّ ذنبٍ عَصِيَ الله به دونه، وأقلُّ منه، ويغفره الله لمن شاء إلّا الشرك ؛ فإنّ من مات عليه لا يغفره الله له ويُخلد في النار ولا يخرج منها أبداً، والشرك هو الظُّلم العظيم، وهو الإثم العظيم، وهو الضلال البعيد .

قال الله تعالى : { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } (١٣) لقمان

وقال الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا } (٤٨) النساء

وقال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (١١٦) النساء

وقال تعالى : { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } (٧٢) المائدة

وفي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم ؟ قال : " أن تجعل لله ندًا وهو خالقك " . قلت : إن ذلك لعظيم ! ثم ماذا ؟ قال : " أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك " ، قلت ثم ماذا ؟ قال : " أن تزاني حليلة جارك " .

والنبي صلى الله عليه وسلم بدأ بالأعظم فالأعظم، فالشرك كما ترى أعظم من قتل النفس المحرمة وأعظم من الزنى، ومصدق ذلك في كتاب الله قول الله تعالى : { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ } .

وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ " ، قلنا بلى يا رسول الله ، قال : " الإشراك بالله " متفق عليه.

وفي صحيح مسلم عن جابر قال : " من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار " .

قال -رحمه الله -

والدليل قوله تعالى : { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } .. النساء

المؤلف - رحمه الله - استدل على أن أعظم أمر هو الأمر بالتوحيد؛ وأن أعظم نهي هو النهي عن الشرك بقول الله تعالى: { **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا** } .

(واعبدوا) : أمر بعبادة الله وحده ، والعبادة قلنا أنها لا تُسعى عبادة إلا مع التوحيد .

(ولا تشركوا) : نهى عن الشرك بالله .

(شيئاً) : هنا نكرة في سياق النهي ؛ وقلنا فيما سبق إن علماء الأصول يقولون أن النكرة في سياق النهي أو النفي تفيد العموم . فشيئاً هنا عامة تشمل كل شيء، فلا

تُشْرِكْ مع الله لا ملكاً ولا نبياً ، ولا إنساناً ولا صالحاً ، ولا ولياً ولا قبراً ، ولا جنّاً ولا شجراً ولا حجراً ؛ فهي تشمل كل شيء.

ووجه استدلال الشيخ -رحمه الله - بهذه الآية على أنّ أعظم ما أمر به التوحيد وأعظم ما نهى عنه الشرك ؛ كَوْن هذه الآية واقعة في آية الحقوق العشرة في سورة النساء، قال الله سبحانه وتعالى : { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } (٣٦) النساء

فبدأ الله سبحانه وتعالى فيها بحقه ؛ ثم ذكر بقيّة الحقوق ، وفي هذا دليل على أنّ أعظم حقٍ هو حقُّ الله سبحانه وتعالى وذلك بإفراده بالعبادة وعدم الإشراك به .

وكذلك الأمر في آية الوصايا العشر في سورة الأنعام ، قال الله تعالى : { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ ۚ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۚ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (١٥١) الأنعام

فبدأ بالتوحيد ، والنهي عن الشرك .

وكذلك في آيات سورة الإسراء التي ذكر الله فيها ثمانية عشر مسألة بدأها بالتوحيد فقال الله تعالى :

{ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُومًا } (٢٢) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } (٢٣) الإسراء .

فبدأ بالتوحيد ، والنهي عن ضده وهو - الشرك - ثم سرد باقي الأوامر سبحانه وتعالى .

والله عز وجل ما بدأ به إِلَّا لِعَظَمَتِهِ وَلَأَهَمِّيَّتِهِ ، والآيات الدالة على هذا الأمر كثيرة جداً حتى قيل أَنَّ القرآن كُلَّهُ في التوحيد .

قال الله تعالى : {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} (النحل)

وكذلك ما مرَّ معنا قريباً في الآية التي في بداية سورة البقرة التي فيها أول نداء، وأول أمر ، وأول نهى ؛ وهي قول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (٢٢) البقرة

فأعظم أمرٍ أمر الله به التوحيد وغيره دُونَهُ، وأعظم نهى نهى الله سبحانه وتعالى عنه الشرك وغيره دُونَهُ ؛ وإن كان أكبر الكبائر فإنَّ الشرك أكبرها وأعظمها على الإطلاق .

وعليه يتلخَّص لنا مما سبق :- أَنَّ الشيخ - رحمه الله - في هذه الفقرة الأخيرة تطرَّق إلى بيان أسباب دراسة التوحيد ؛ ونُجملها ونُلخِّصها نحن في نقاط تبين لنا :

أهمية دراسة علم التوحيد :

- التوحيد هو دين الحُنفاء وهو أعظم ما أمر الله به .
- ندرُس التوحيد كي نَحْذُر من الشرك ولأنَّه أعظم ما نهى الله عز وجل عنه .
- من أجل التوحيد أُرْسِلَت الرُّسُل وأنزلت الكتب .
- التوحيد هو سبب لدخول الجنة ابتداءً أو انتهاءً
○ **ابتداءً** : يعني لمن أُدْخِل الجنة بغير عقاب أُدْخِل الجنة مباشرة ، ولم يدخل النار ، ودخوله كان بسبب التوحيد .
- **انتهاءً** : أي : من أدخله الله النَّار وهو من أهل التوحيد؛ إِلَّا أَنَّهُ استحق النار لارتكابه الكبائر والآثام ، فَإِنَّهُ يدخل النار إذا مات ولم يُتَّبْ ؛ إذا مات ولم يُتَّبْ

من هذه الذنوب ولم يغفرها له الله عز وجل لكنه لا يُخْلَد فيها، وبسبب توحيده يكون مآله الجنة .

• التوحيد يعصمك من دخول النار ابتداءً أو انتهاءً ، فبسبب التوحيد قد لا يدخل العبد النار أصلاً ؛ وإذا دخلها فإنه بسبب التوحيد لا يُخْلَد فيها .

• التوحيد سبب لتكفير الذنوب، وهو سبب لقبول باقي الأعمال ، فإن المشرك لا يقبل الله منه أعماله التي كان يتقرب بها ، قال الله تعالى : { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (٦٥) الزمر

• التوحيد سبب لشفاعته النبي صلى الله عليه وسلم للانسان الموحّد.

• التوحيد سبب لحصول الأمن ، والهداية ، والطمأنينة، قال الله تعالى : { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } (٨٢) الأنعام

والظلم : المراد به في هذه الآية هو : الشرك ؛ ودليل ذلك أنه لما نزلت هذه الآية اهتم لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله : ومن منا لم يظلم نفسه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " إنه ليس الذي تذهبون إليه، وإنما المراد بالظلم الشرك ألم تسمعوا الى قول لقمان لابنه : { يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } .

بهذا نكون قد انتهينا من المقدمة التي قدم بها الشيخ - رحمه الله - بأقسامها الثلاثة ، وندخل في بيان هذه الأصول الثلاثة في الدرس القادم بإذن الله تعالى، نسأل الله التوفيق والإخلاص في القول والعمل.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا أنت أستغفرك وأتوب إليك .